ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Hayder Oudah Gatea

Imam al-Kadhim College, Basra departments

Email:
lecbasra23@alkadhum-col.edu.iq

Keywords:

Deviation , necessity, discourse , approach, pragmatics

CC BY

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 28.Jun.2024

Accepted 30.Jul.2024

Published 25.Aug.2024

Deviation and communicative necessity: a pragmatic approach

A B S T R A C T

Deviation is a stylistic contextual departure that has dominated creative texts in ancient and modern times, and linguistic studies such as grammar, rhetoric, morphology, and semantics have been full of it. This celebration was the reason for its appearance in modern linguistic and communicative studies, especially since linguistics deals with creative texts as the material that should be a field for stylistic and communicative creativity, in which the creative movement of the transmitter appears. This interpenetrating application between the two studies has led to a great convergence between deviation and some topics with communicative standards, such as speech acts and communicative implicit coherence. It appeared to the research that they are a departure from the apparent composition to the implicit meanings in the environment of the text as a whole, without cutting the texts or dividing them. This convergence appeared clearly in some Qur'anic texts; Because the condition of contextual departure is linked to the creative ability of the producer to succeed in employing the criteria of departure so that the modified text becomes a new artistic image inspired by the expressive energy of the language and the creator alike, while leaving sufficient space for the recipient to navigate in the interpretation of the modified texts.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol56.Iss2.4047

العدول واللّزوم التخاطبيّ مقاربة تداوليَّة

أ.م.د. حيدر عودة كاطع
كلّية الإمام الكاظم(ع) / أقسام البصرة

الملخّص:

العدول خروج سياقي أسلوبي هيمن على النصوص الابداعية قديماً وحديثاً، فحفلت به الدراسات اللغوية كالنحوية والصرفية والدلالية والبلاغية، وقد كان هذا الاحتفاء سبباً لظهورها في الدرس اللسانيّ والتداوليّ الحديث، لا سيما أن اللسانيات تتناول النصوص الإبداعية بوصفها المادة التي ينبغي أن تكون مضماراً للإبداع الأسلوبي والتداولي، فتظهر فيها الحركة الابداعية للباث، وقد أفضى هذا التعانق بين الدراستين إلى حصول تقارب كبير بين العدول وبين بعض الموضوعات ذات المعاير التداولية، كالأفعال الكلامية والتلازم التخاطبي، فقد بدا للبحث أنهما خروج عن الظاهر التركيبي إلى المعاني المضمرة في بيئة النص كاملاً، بلا تقطيع للنصوص أو تبعيض، وهذا التقارب ظهر واضحاً في بعض النصوص القرآنية؛ لأن شرط الخروج السياقي مقرون بالقدرة الابداعية للمنتج على النجاح في توظيف معايير الخروج ليكون النص المعدول صورة فنية جديدة مستوحاة من الطاقة التعبيرية للغة والمبدع على حدٍّ سواء، مع ترك المساحة الكافية للمتلقي ليبحر في تأويل النصوص المعدولة.

الكلمات المفتاحية: العدول ، اللزوم ، التخاطب ، مقاربة ، التداولية.

توطئة:

لا شكَّ أَنَّ اللغة تحمل وظيفة إبلاغية تواصلية يشكِّل فيها الحوار أو الخطاب قنطرة التعبير الإبداعي مع الآخر، وهذا ما يجعلها في حركةٍ دؤوبةٍ وتغيّرٍ مستمرٍ لا تعرف الثبات أو السكون، فتتماهى مع مستعمليها كيفما يشاؤون متقبّلة التغييرات الطارئة على بنيتها الجسدية والتنويعات في قوالبها النسيجية، فهي كما يقول جون كوهين: "تقبل التحوّل لكي تعطي معنى للكلام" (كوهين:١١٩) ، ما دام هذا التحوّل يفضي إلى توسيع دائرة التحاور، وتقليل استراتيجيات التوضيح، وبناء معابر للتواصل التخاطبي بين مستعمليها تُقنن فيها الوسائل الإجرائية أو الاستعمالية اعتماداً على الفهم والإفهام؛ بغية الحصول أو الوقوف على مقاصد التحاور التواصلي عند المتلقّي؛ لما يشكّله النص من نسق تركيبي متكامل، بعيداً عن الركون إلى ما يعرف بالتأويل أو التوسل بالتوضيحات المعجمية والوضعية لمعرفة ذلك، فضلاً عن الاختزال المعرفي لآليات اللغة واستعمالاتها، والذي كان واحداً من عناصر الدراسة في فضائها التركيبي؛ وذلك حين يتمكن الباث أَنْ يوصِّل كمّاً كبيراً من المعاني بأقل الكلمات معتمداً في ذلك على بناء السياق ورصف الكلمات المفردة وبثِّ الروح فيها تركيبياً، وعلى القدرة التوظيفية لمنتج الخطاب من ذلك، أي أَنَّ النجاح في الانسجام التواصلي في تناول النصوص الإبداعية مدين بالدرجة الأساس للقابلية التواكبية للغة المدروسة، بما تمنح من مساحة في منطقة العمل الإجرائية وتضع بين يدي المنتج امكانياتها وأدواتها؛ ليستعين بقدرته على الامتياح المعرفي والتمكن من الاختيار.

وقد زخر التراث العربي بالتنوع اللغوي، عندما حقّق المتقدّمون من علماء النحو والبلاغة والأصول حضوراً واسعاً في ذا المجال؛ فأظهروا القيم الابداعية لما ذكرناه، وأثمرت دراساتهم عن خزين معرفيٍّ أثرى المكتبة العربية في الميدان اللغوي؛ ولذا فقد وظِّفت هذه النتاجات في البحث اللساني المعاصر، فكان ميراثهم رافداً إغنائياً خصباً وحظي بالنصيب الكبير في هذا المجال، عندما استثمرت الدراسات اللسانية بعض الموروث اللغوي العربي، لتحقيق تقاربٍ تعاوني في المجال اللغوي

بمعناه الوسيع والشامل، بعد ظهور الدراسات الأسلوبية والتداوليات الحديثة والنظرية التوليدية والتحويلية، فأخذ علم النحو والبلاغة وغيرها من العلوم التراثية نصيباً لتكون مضماراً لهذه الدراسات فيما بعد.

والبحث محاولة إجرائية للتقريب بين ظاهرتين استعماليتين لسانيتين يشكِّل حضورهما في النصوص الإبداعية تثويراً للطاقة التي يختزنها النص، وهما كلٌّ من العدول أو الانزياح واللزوم التخاطبي، بما يمثّلانه سويّة من خروج عن الظاهر التركيبي للسياق، أو تحوّل مقصود في النسيج النصي عن الدلالة الظاهرة إلى الدلالة المضمرة، في إثارةٍ فنية جمالية تعتمد عنصر التشويق والمفاجأة والتأثير؛ تستدعي المتلقّي؛ ليكون شريكاً استثمارياً في الوقوف على هذا التحول الخطابي المقصود، بعد توفير آليات الشحن التأثيري فيه لتحفيز كوامن التأويل عنده؛ ومن هنا تبرز القيمة الفنية للظاهرتين في النصوص الابداعية لا النصوص العادية، شريطة أنَّ لا تتكأ دراسة استراتيجيات الخطاب في ضوء ظاهرتي العدول واللزوم التخاطبي على النصّ بوصفه بيئة لسانية معزولة أو يتيمة أو مقطوعة عن مبدعها بل تقفز إلى دراسة مقاميات الخطاب ومقاصده، ودراسة معاني القولات المنطوقة وعلاقتها بمنتجها (ينظر: العبد: ٣٠٦).

العدول:

شكّل العدول فضاءً وظيفياً زخرت به الخطابات التواصلية المنطوقة والمكتوبة، يهدف حضوره الوظيفي في المسرح السياقي الانحراف عن الظهور التبادري للنصوص الابداعية للقفز على السياق إلى معنى إيحائي مضمر؛ ولذا فقد أخذ مساحة واسعة من البحث والتنقيب قديماً وحديثاً، إلى الحدِّ الذي يغني البحث عن الدخول في حقيقته اللغوية والاصطلاحية مقتصراً على طبيعته الوظائفية الآلية وما يتيحه من إمكانيات تتجاوز الحاجز النمطي أو المألوف للخطاب، فهو يعني الخروج أو الميل عن الشيء، فعلى الرغم من الخلاف الدائر في حقيقة التسمية المختارة لهذه الظاهرة بين القديم والحديث وبين الأسلوبيين نفسيهما في معناه، فإنَّني أرى الاختلاف في التسمية قد لا يجدي نفعاً، وليس ممَّا يوفِّر إثراءً معرفياً للباحث ولا يغنيه، بل هو ترف ذهني يخلو نوعاً ما من القيمة المعرفية، ما دامت الألفاظ مترادفةً على المعنى الاستعمالي نفسه، فقد سمي انزياحاً وخرقاً وانتهاكاً وشناعة وانحرافاً والتفاتاً ومقاربة ومخالفةً واستبدالاً، خاصّةً أن بعض أوصافه أو أسمائه تسيء للغة النقدية كالجنون والإطاحة والعصيان والإخلال... (ينظر: ويس: ٥٩)، وقد أحصى الدكتور عبد السلام المسدي التعدّد الاسمي له في كتابه الأسلوبية والأسلوب (ينظر: المسديّ:١٠١)، وكان برند شبلنر ومعه بعض علماء اللغة المحدثين من العرب قد واءَموا بين الأسلوب وبين الانحراف إذ عُرِّف الأسلوب عندهم بأنَّه انحراف عن المعيار (ينظر: شبلنر:٦١، وعبد المطلب:٢٦٨ ، وعبد اللطيف:١١١)، ثم أضاف قيداً له فيما بعد بأنَّه انحراف مقصود لأغراض جمالية، فيسهم في إثراء اللغة وإمداد التراكيب اللغوية بمزيد من المعاني اللغوية غير المحدودة والمستقاة من التحويل؛ ليدلَّ هذا المعنى على التقابل والمغايرة الواضحة بين اللغة وبين الأسلوب الانزياحي مع الحاجة الاستمدادية لكلٍّ منهما للآخر، لكن الأسلوب يسمو عليها بجماليته الفنية القادرة على التأثير المقاصدي مستعيناً بالسبك الجديد والأداء المميز (ينظر: الكردي:٣٢)، وفي هذا المعنى يرى ريفاتير: أنَّ اللغة تعبِّر والأسلوب يبرز القيمة (ينظر: ريفاتير: ٢١)، وسيتضح معنى القصدية اللغوية حين نقارب بين العدول وبين الاستلزام التخاطبي.

ومهما يكن من أمر فالعدول ظاهرة لا تقف عند حدود التمظهر اللغوي بل هو سارٍ في كل خروج عن الأصل، وهذا ما يجعل المعنى فضفاضاً قابلاً للانطباق على كل خروج، كالنسخ القرآني وما يعنيه من ترك لحكم سابق بحكم لاحق، حيث أشار النص القرآني إلى هذه الظاهرة بقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:١٠٦) ، قال الزمخشري في الآية: (ونسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها وإنساخها) (الزمخشري: ٣٠٩/١) ، وهذا المعنى يتناسب مع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (النحل:١٠١) المشير إلى الحقيقة ذاتها ولكن بلفظ التبديل الذي يرسم معنى العدول بوظيفته الاجرائية، إذ سميت في المدرسة التحويلية والتوليدية بـ(الاستبدال) بوصفها(ظاهرة أساسية لتوليد الجمل) (الكردي:٣٣).

والعدول في الاستعمال اللغوي ذو بعدٍ مجازي لا تخلو منه الخطابات الإبداعية، فيشكِّل مدوَّنةً لغوية مهيمنة على النصّ؛ وأضحى مثاراً وميداناً وجدليّة للبلاغيين والنحاة، كما سجل حضوراً في البحث الدلالي لا سيما في السياقات التركيبية، مع أنه يمكن أنْ يظهر في الدلالة الوضعية أو الصرفية وفي التقديم والتأخير والحذف والاطناب والايجاز فهو برزخ بين النحو والبلاغة، وذو نقطة شديدة الاتساع فيتعيّن تخصيصه إجرائياً؛ كي يعرف ما يوصف بالجمالية منه وما لا يوصف (ينظر: عبد اللطيف:١١١) ، فقيمة العدول أو الانزياح المعنوية تبرز في أنَّه يمثل صراعاً قاراً بين اللغة والانسان، فهو يشكل بصراعه هذا بؤرة احتيال عليها وعلى نفسه ليسدّ بذلك قصورها وقصوره كذلك (ينظر: المسديّ: ١٠٦) ، اعتماداً على فلسفة الانتقاء اللفظي والتعليق بينها ما دام حسن اختيار الألفاظ يمثل واحداً من أنواع العدول. (ينظر: هنداوي:١٤٩).

وبهذا الخروج الانزياحي السياقي يكون المتلقّي شريكاً مهمّاً في عملية التواصل؛ لأَنَّ هذا التمرّد الاستعمالي المقصود والمثير لإعمال العقل "يشدّ انتباه المتلقّي فيدخله في دائرة التأويل والتفكير وإعمال النظر لفهم دلالات النصّ وأسراره" (الهتاري:٣٢) ؛ لذا يرى ريفاتير أنَّ القارئ ملزم بمقاسمة المؤلف وجهات نظره بما ينتج سواء أكان مهمّاً أو لا (ينظر: ريفاتير:٢٦).

و صيّر ابن الأثير ظاهرة الالتفات الأسلوبية دليلاً على شجاعة العربية، وأنَّه في الكلام مختص بها دون غيرها من اللغات (ينظر: ابن الأثير: ٢/١٦٧-١٦٨)، وقد عدّه العلوي في طرازه من أجلِّ علوم البلاغة بل هو أمير جنودها (ينظر: العلوي: ٢/١٣١) ، في حين خالف الدكتور حسن طبل ما ذهب إليه ابن الأثير من كون الالتفات محكوراً على اللغة العربية، ويرى أن متعلِّق الشجاعة لا العربية بالالتفات فهو يرى شجاعة الالتفات في اللغة العربية لا شجاعة اللغة العربية بالالتفات (ينظر: طبل: ٤٨-٤٩).

ومع كلِّ هذه الحفاوة والتقديس للظاهرة عند ابن الأثير، فالعدول عنده لا يبلغ مداه المنشود إلا بشرطين:

١-الانتقال الجديد من صيغة إلى أخرى لا يتحقق بلا علة أوجبت ذلك.

٢-لا يحسن هذا الفن إلا العارف بفنون الفصاحة والبلاغة المطَّلع على أسرارها المفتش عن دفائنها (ينظر: ابن الأثير:٢/١٨٠).

المعدول والمعدول عنه:

لمّا كان العدول استراتيجية يتمحور فيها نزاع تتجاذبه أطراف ثلاثة تشكل بمجموعها العملية الابداعية لتحقيق غرض النزوع عن السكون والثابت، والذي يمثل المعدول عنه طرف العملية الأوّل بما يسجِّله من مصدٍّ للنصّ المثالي، وأما المعدول فهو النصّ الخيالي أو الفني للمبدع (الطرف الثاني) وتحولاته النصية وأنساقه البيانية عن لغة المثال الراكدة، فينسج بناءه اللغوي على توليفة لغوية تدبّ الحياة في بعض ذينك الألفاظ نتيجة تمكّنه من أداءه الفني فيتحوّل اللفظ من حالة الجمود المعجمية إلى وترٍ صدّاح (ينظر: عيد: ٥٤)، يشاركه في ذلك المتلقّي بوصفه طرف العملية التأويلية للإنتاج الفني والأساليب المعدولة، خاصّةً أَنَّ الحديث عن البلاغة الانزياحية لا يعني اطلاق العنان لنوازع المبدعين يديرون بها صهوة الخطاب كيفما يريدون.

وتعويلاً على ما ذكر فقد فرّق المتقدمون من النحاة والبلاغيين بين مستويين من اللغة هما اللغة المثالية واللغة الفنية، وقد جعلوا اللغة المثالية مرآةً ينعكس بها مستوى الانحراف الفني، ومعياراً لقياس كميّة ذلك الانحراف (ينظر: راضي: ٢١١)، فإنَّ هذه الظاهرة الاستبدالية تعمق الشراكة وتؤطرها بين المتخاطبين بما توفره من بناء لقوالب جديدة تربو على الكلام المباشر الخالي من التأثير الانفعالي، فتنتقل إلى مرحلة تحريك أمواج السياق بالانتقال الجديد المفضي إلى تأويل مستحسن يدركه السماع، بل ويتأثّر بجماله الانزياحي الجديد، فحين كان الاتساق التركيبي في بيئته النحوية قالباً ثابتاً وقاعدةً متّبعةً وأصلاً مثالياً، فإن التمرّد السياقي في الميدان البلاغي على ذلك الثابت يشكِّل انحرافاً ينجب شكلاً بلاغياً جديداً بالنسبة له، فيُنشأ بعداً مطاوعاً مرناً على حساب تلكم الثوابت (ينظر: فضل: ٨١) ؛ لذا صارت اللغة المثالية أصلاً للقياس "المثالي المحايد الذي انحرفت عنه العبارة الأدبية وهو ما تكشف عنه تصريحاتهم بوجود ما سموه بـ(أصل الكلام) أو (أصل المعنى) أو (معنى الكلام ومرتبته الأولى) أو (معنى الكلام وحقيقته)"(راضي: ٢١١-٢١٢).

فالاختلاف الأسلوبي بين المنظومة النحوية والمذهب البلاغي هو اختلاف:

١- بين اللغة المثالية المعدول عنها، والتي سار النحاة على مراعاتها توطيداً لقواعدهم وترسيخها وتعميقها في أذهان الدارسين، فكانت معيارية الدرس النحوي تؤطر للمنع من الخروج النحوي على قوالبهم بلا دليل؛ لكيلا يقع محذور اللبس، هذا المحذور الذي كان حاضراً في كلِّ الأبواب النحوية، فكلّ ما يفضي إلى لبسٍ في الكلام حُكم بمنعه، وما نعنيه بالعدول هنا الخروج السياقي لا الخروج عن القاعدة.

٢- وبين اللغة الفنية التي سار البلاغيون بها على انتهاك مثالية النحاة، وهذا لا يعني أن البلاغيين فرطوا بالمستوى المثالي الذي أقامه النحاة بل جعلوه الخلفية الوهمية للصياغة الفنية كي يقيسوا عليها مقدار العدول عن هذه الصياغة (ينظر: عبد المطلب:٢٦٩)، وقد أحصى الدكتور محمود أحمد نحلة إشارات سيبويه لعملية التحول أو الخروج عن الأصل في كتابه متتبعاً مصطلحاته المشيرة إلى هذا النزوع منها كلماته: بمنزلة، وقع موقع، جرى مجرى، كأنك قلت، في معنى، في موضع، وتقول....كما تقول، يوافق قولك. (ينظر: نحلة: ٢١٤).

وما تعريفهم للبلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو الأصل إلا دليل كافٍ على هذه التنوع الانزياحي الخصب، وهم بذلك يؤطرون للانسجام النصي بين النص المثالي أو الأصل وبين النص المحوّل أو الفني، وقد بيّنه السكاكي بشكلٍ وافٍ بقوله: (فتارة تقتضي-الحال- ما لا يفتقر في تأديته إلى أزيد من دلالات وضعية وألفاظ كيف كانت ونظم لها لمجرد التأليف بينها يخرجها عن حكم النعيق، وهو الذي سميناه في علم النحو، أصل المعنى، ونزلناه منزلة أصوات الحيوانات، وأخرى ما تفتقر في تأديته إلى أزيد من ذلك) (السكاكي: ١٦٣).

فقد أفصح السكاكي عن وجود نمطين أو مستويين من الخطابات النصية، هما:

١- الخطاب العادي الذي أشار إلى أنَّ التأليف بين الكلمات فيه أخرجه عن حكم النعيق الحيواني، وقد أنزله منزلة أصوات الحيوانات، والذي يخلو من الأبعاد الفنية التخاطبية، حيث يقف على أعتاب المعنى المستنبط من استقراء كلام العرب.

٢- وآخر تكون تأديته خروجاً عن مقتضى الظاهر، فيشكل انزياحاً فنياً يقابل المعنى الأوّل للخطاب؛ كي ترصد الفائدة والاستحسان والاقناع، فيمكن القول حينها: إنَّ النحو يرصد الثابت والواجب، والمعاني ترصد المتحوّل (ينظر: العمري: ٤٩٢)، ولا عجب في ذلك لمن يتمكن من ناصية اللغة فتذعن له طائعة فينتقل بها من مسارها المرسوم خارقاً بذلك أصولها بممارسة أسلوبية وإبداعية للتعبير عن كوامنه الشعورية متخطياً لغة الكلام المنسجمة مع الوضوح والمطابقة إلى لغة الأدب المنسجمة مع الوضوح والمطابقة والجمال التركيبي.

وقد أطلق المحدثون على النمط الأسلوبي الأول الاختيار وعلى الثاني الانحراف، فالاختيار هو أسلوب محدود بالأطر النحوية المتعارفة كالمطرد والكثير والغالب ويتمظهر باللغة العادية والجارية أو لغة الحديث اليومي، في حين أنَّ الانحراف يجافي طرق التعبير الشائعة، ويعمل في اللغة الفنية فقط، فيقابل الاختيار، ومن هنا اشترطوا في الانحراف عدم وقوعه في طريق العامة؛ فيكون شرعةً لكل وارد، بل لا يقدم عليه إلّا أديب ألمعيّ (ينظر: عياد: ٧٨).

ولا تقف أسلوبية العدول عند امتياح المبدع للتلون الفني فيما يختار من تراكيب محوّلة يقتضيها ترك الأصل، بل قد تكون الضرورات داعية لهذا الانتقال المفاجئ عن النص الأصيل، كما قد يكون العدول انتقالاً من خطابٍ إبداعي رصين إلى ما دونه في الجودة والسبك والتضام، وهذا المعنى قد بينه ابن جني مازجاً فيه بين الضرورة وبين التعسّف الابداعي بقوله: "فمتى ما رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها، وانخراق الأصول بها، فاعلم أَنَّ ذلك ما جَشِمه منه وإنَّ دلَّ من وجهٍ على جوره وتعسّفه" (ابن جني:٣٩٢/٢).

ولعلَّ مما تقدَّم في مسائل التنوع المعرفي لدى المتقدمين يتبين لنا أنَّ المستويات الأسلوبية أو الأنماط التركيبية اللغوية التي تواكب ظاهرة العدول تنقسم على ثلاثة أقسام:

١-الأصل: وهو ما يرسم خيوط المعنى بشكل واضح وجلي للغة المثالية، ويلزم فيها الأسلوبي أن يعتمده أصلاً لخروجه السياقي المقصود. .

٢-الاختيار: ويمثّل اللغة العادية، أو الكلام غير الفني، وهو الذي وسمه السكاكي أو أنزله منزلة النعيق.

٣-العدول عن الأصل: والذي يبرز فيه الإبداع المعرفي والشجاعة الأدبية والقيمة الفنية والكفاءة اللغوية، عندما ينتقل الدال من خطِّ المسار المحدّد إلى موضع طارئ يلبس فيه ثوبه الجديد(ينظر: إبراهيم: ١٨٧).

وهنا أودّ أنْ أشير إلى مسألة مهمة وهي: أنَّ العدول في حقيقته عدولان هما العدول الخارجي والعدول الداخلي، والواقع أنَّ الحديث إنما يقع عن العدول الداخلي؛ ذلك لأنَّ الخارجيَّ يمثِّل خروجاً عن القواعد اللغوية النحوية والبلاغية والأسلوبية، ولا شكَّ أنَّ هذا المعنى ليس مقصوداً؛ كونه يبني انتقاله على أنقاض اللغة الرصينة وركامها مخالفاً بذلك قواعد ثابتة وقوانين رصينة، فمفهوم العدول فيه يكون أقرب لمفهوم الشاذ والنادر (ينظر: الهتاري: ١٣) ، والكلام يقع في العدول الداخلي، وهو العدول من سياق إلى سياق آخر ارتضاه المبدع والمتكلِّم، فهذا النوع من العدول ليس له بيئة إلا السياق (ينظر: هنداوي١٤٩)، ويحصل "عندما تنفصل وحدة لغوية ذات انتشار محدود عن القاعدة المسيطرة على النص في جملته" (فضل: ٢١١).

تداولية العدول:

قد تبيّن أنَّ ظاهرة العدول أسلوب بلاغي يتماهي بينها وبين علم النحو؛ لاتساع دائرته الوظيفية ذات القيمة الابداعية استناداً على تطويع العبارة وجدارة المحوِّل الذي اشترطوه أنْ يكون ضليعاً في مجاله؛ ليتسنى له التوظيف الدلالي للتراكيب المعدولة، ويدخل هذا العمل الفني في فضاء اللغة أو مجالها التخاطبي داخل نسيجها الابداعي القائم على معيار القصدية التداولية في التراكيب السياقية التي تشكل برمتها النصوص التخاطبية؛ فيكون القصد حاكماً على التعليق الوضعي للألفاظ وتضامها تركيبياً ووضعاً؛ ليفضي هذا النسق التركيبي إلى الدلالة النصية أو التصديقية في مرحلة تشكل النصوص بطبيعتها التخاطبية، فتتعانق المفردات في التراكيب بقصدية وانتقاء؛ وعليه يحقّق العدول بغيته التأويلية لا بالبنية السطحية بل ببنيته العميقة؛ لأنها محكومة بالدلالة النصية أو التصديقية، وصولاً بالتراكيب النصية المحوّلة إلى الغاية التي حوّلت بها وهو التأثير الإقناعي، فيمكن التدرج بالتوليفة العدولية كما يأتي: ١- التركيب المعدول، ٢- قصدية العدول، ٣-الاقناع

ويعد الاقناع حالة شعورية يعمل فيها المنتج على توفير شحن الطاقات التركيبية بأكبر قدر ممكن من المسوغات التأثيرية؛ كي يأتي التركيب المحوّل أُكلَه عند المتلقِي، فهي صفة للمتلقي لا المنتج؛ ولذا يرى الشهري "أن تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى، ونتاجها أثبت وديمومتها أبقى؛ لأنها تنبع من حصول الاقتناع عند المرسل إليه غالباً، لا يشوبها فرض أو قوة" (الشهري: ٤٤٥) .

وأرى أنَّ هذا التقسيم الثلاثي يقترب كثيراً من الفكرة التداولية لنظرية أفعال الكلام عند أوستين وسيرل، والتي سأذكرها باقتضاب؛ لأنها أُشبعت بحثاً وتفصيلاً، ومهاد هذه النظرية ابتدأ عند أوستن الذي كان يرى أنَّ اللغة ليست قوالب أو وسائل لنقل الأفكار والرؤى، بل هي ميدان ننجز فيه أعمالاً (ينظر: ليلى: ١٠٤) ، ويشكل القول واحداً من تلك الأعمال، فحينما نخاطب شخصاً فإنَّنا نعبِّر عن داعٍ شعوري أحدث هذا الأسلوب التخاطبيٍ سواء أكان إخباراً أو طلباً أو توجيهاً أو استعلاماً (ينظر: يونس:٣٤).

وقسم الأفعال الكلامية إلى الأفعال الوصفية وهي (الجمل الخبرية)، والأفعال الأدائية وهي (الجمل الانشائية)، فالإنشاء عنده يُبتنى على القوة المقصودة بالقول، والخبر هو عمل القول (ينظر: ميلاد: ٤٩٨)، وراح يفرع فيها مقسماً إياها إلى ثلاثة أقسام:

- فعل القول: وهو التلفظ بالقول.
- فعل الإنجاز: وهو الخبر عن أمرٍ ما، أو طلب بإنجاز أمر ما من المتلقي.
- فعل التأثير: مقدار ما يتركه فعل الإنجاز بالمتلقي (ينظر: نحلة ٧٠).

وقد أضاف سيرل فعلاً آخر جعله بعد فعل التلفظ اطلق عليه اسم الفعل القضوي والذي يعني ما أراد المتكلم إيصاله إلى المتلقي، وهو مدار التكلم بالقضية وموضوعها (ينظر: نحلة ٧١).

ومن هنا يمكن إجراء المقاربة التداولية بين أفعال العدول وأفعال الكلام وعلى النحو الآتي:

التركيب المعدول ⟵ فعل القول، والفعل القضوي عند سيرل

قصدية العدول ⟵ فعل الإنجاز

الاقناع ⟵ فعل التأثير

ويمكن بيان حقيقة المقاربة التداولية بينهما من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾(النساء: ٦٤) ، إذ قال الزمخشري:(ولم يقل: واستغفرت لهم، وَعَدَلَ عنه إلى طريقة الالتفات، تفخيماً لشأن رسول الله ﷺ، وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً على أن شفاعةَ مَنِ اسْمُهُ الرسول، من الله بمكان)(الزمخشري:٢/١٠٠)، فتتحقق المقاربة التداولية فيها على الشكل الآتي:

التركيب المعدول أو فعل القول	⟵	**وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ**
قصدية العدول أو فعل الإنجاز	⟵	**بيان عظمة الرسول واستغفاره للناس**
الاقناع أو فعل التأثير	⟵	**الدعوة والندبة للاستغفار بين يدي الرسول**

وقد ذهب كل من أوستين وسيرل إلى الاهتمام بالفعل الإنجازي دون أخويه، فهو يرتبط عند أوستين "ارتباطاً وثيقاً بمقصد المتكلم وعلى السامع أن يبذل الجهد الكافي للوصول إليه" (نحلة: ٧١) ؛ ضرورة أنَّ الكلام لا يصدر بلا قول تلفظي، وأنَّ التأثير أمر اعتباري قد لا يترجمه الواقع فليس متحصلاً دائماً؛ ومن هنا فقد بنيت نظريتهما على الاعتداد بالفعل الإنجازي، حتى عُدَّ أساس نظرية الأفعال التداولية (ينظر: العبد: ٣١١) ، بدلالة أنَّ سيرل لما رأى أنَّ الكفاية اللغوية للأفعال الإنجازية عاجزة عن استيعاب الحمولات الواقعية للأساليب الانشائية من حيث التوظيف الاستعمالي لها على أرض الواقع، راح يفرق بين نوعين من الأفعال الإنجازية، وهي الإنجازية المباشرة وغير المباشرة أو الحرفية وغير الحرفية (ينظر: يونس: ٣٥)، وبيان قوة الفعل الإنجازية التي يتحدد بها مطابقة الكلام لمقاصد المتكلمين ومرادهم، والتي هي ملازمات الأفعال الإنجازية، فالفعل الإنجازي المباشر هو ما تطابق فيه القوةُ الإنجازية قصدَ المتكلِّم، فيكون معنى نطقه متطابقاً حرفياً لما يريد قوله كالأمر والنهي والتمني حين تتوفر شروطها الانشائية، فلا يتحقَّق فيها جوّ عدولي لمطابقتها بين التركيب والوقع، وأما الفعل الإنجازي غير المباشر هو الذي يحصل فيه انزياح مطابقي بين القصد وبين المنطوق فيتوفّر على دلالة إضمارية تأخذ بيد المتلقي للتأويل وإعمال العقل؛ للربط بين القصد والمنطوق، فيرى سيرل أنَّ المتكلم قد لا يقصد ما يقول، بل قد يتعدى قصده إلى أكثر مما يقول، وأطلق على الزيادة التي تتضمنها الأفعال غير المباشرة بـ(معنى المتكلم) (ينظر: نحلة:٨٥)، خاصة أنَّها خلاف مقتضى الظاهر؛ فتحتاج إلى مؤونة زائدة للوصول إلى مقاصد الخطاب، كما أشار سبربر و لفنسون إلى التآصر الكبير بين الفعل الكلامي غير المباشر وبين الاستلزام الحواري بقولهما: "وينظر عادةً إلى تمييز أفعال الكلام غير المباشرة على أنه عموماً يجد طريقه إلى الإنجاز بموجب الاتجاه الغرايسي" (ولسون: ٤١٥).

ويرى أحمد المتوكل أنَّ الفعل اللغوي غير المباشر أو المستلزم يؤدِّي وظيفة استعمالية تفوق الاستعمال الحرفي لها، بل قد يفضي حضور الفعل المستلزم في السياق إلى أنْ تختفي معه القوة الحرفية (ينظر: المتوكل: ٢٥) ، وذلك لما تحمله من انزياح تركيبي مشحون بالقصدية التأثيرية.

ومن مظاهر هذا النمط العدولي تداولياً الخروج الدلالي لجملة الخبر من خبريتها لتؤدّي وظيفة الاستراتيجية الإنجازية غير المباشرة، خاصةً أَنَّ التحول الانزياحي هو"وصف للعلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية" (أبو معزة: ٤٦) ، ولا شكَّ أن البنية العميقة بناء معنوي ينتج عن البنية السطحية ذات الوجود الشكلي، كما لو وجِّه الخطاب من الأب للابن بإنجازية الجملة الفعلية غير المباشرة، بقوله: ينبغي عليك احترام إخوتك، أو بإنجازية الجملة الاسمية غير المباشرة: عليكَ احترام إخوتك، وكما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ (الطلاق:٤)، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ...﴾(المائدة:٣)، فالآيتان كما هو واضح من آيات الأحكام التشريعية التي سيقت لبيان أحكام توجيهية لرسم مشهد التعامل التشريعي مع المسائل ذات المساس المباشر بحياة الناس، فالنصّ الأوَّل يبيّن عدّة المرأة المطلقة التي انقطع عنها الحيض؛ لكبر سنّها أو لمرض، والثاني يحرم على المكلَّف أكل الحيوان الميت، ودم الذبائح، ولحم الخنزير، معتمداً في ذلك على ظاهر العدول المعنوي بخروج دلاليّ بالخبر من بعده الخبري إلى الإنشائي التوجيهي الإنجازي، على أنَّ التحريم يعني عند الأصوليين النهي عن الفعل وذلك بالفعل المضارع المسبوق بلا الناهية، ويمكن بيان المفهوم أو المدلول من النصّين القرآنيين على النحو الآتي:

العدول أو الفعل الإنجازي غير المباشر	مقتضى الظاهر
فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ	فاعتدَّنَ ثلاثة أشهر
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ	لا تأكلوا الميتة

العدول والاستلزام الحواري:

أخذت نظرية الاستلزام الحواري صدى كبيراً واهتماماً واسعاً في الدرس اللساني والتداولي الحديث؛ لما تتناوله من فكرة تخاطبية وتواصلية مبتكرة في ميدان الحواريات، فترسم فضاءً للتحاور يقوم على أساس الاضمار التخاطبي لمعانٍ مقصودة وغير منطوقة في التركيب أو السياق، ضرورة أن السياق يستلزمها، ولو كانت قد اختفت خلف السياق، فهي بهذا المعنى تقع في مسمّى الدلالة غير الطبيعية أو الاقتضائية.

ويعود الأصل اللساني لهذه النظرية لبول كرايس الذي استطاع أنْ يستلهم فكرته من نظرية الفعل غير المباشر لسيرل، وفحوى هذا التقارب حين رأى "أنَّ جمل اللغات الطبيعية يمكن في بعض المقامات أنْ تدل على معنى غير المعنى الذي نستخلصه من محتواها القضوي أو معناها الحرفي، وبعبارة أخرى يمكن القول: إننا في بعض المقامات ننجز فعلين لغويين اثنين، فعل لغوي مباشر وفعل لغوي غير مباشر" (بيعيطش: ١٠٧)، وبين أنّنا قد نقصد أو نعني أكثر مما نقول بالفعل (ينظر: فاخوري:١٤١)، فالنظرية لا تخرج عن دائرة القصدية على الرغم من اختفاء المعاني فيها خلف السياق اللازم لها؛ ذلك لأنَّه أسّس هذه النظرية على أساس التفريق بين قوتين إنجازيتين؛ الأولى هي القوة الإنجازية الحرفية المدركة من المسرح المقالي نفسه، والقوة الإنجازية المستلزمة، والتي يكون المقام التأويلي في فضائه التخاطبيّ هو المفصح عنها استدلالاً واستنتاجاً (ينظر: العياشي:٩٦)، وهي تنسجم مع الدلالة الالتزامية التي قال بها المناطقة القائمة على دلالة اللفظ على معنى لازم لا يدل عليه الا التزاماً بينهما، فهو معنى دفين يتعسّر حصوله بلا إمعان نظر، فاللجوء إليه إنما يكون لضرورة اقتضته ومن هنا يقول الغزالي: "وإياك أن تستعمل في نظر العقل من الألفاظ ما يدل بطريق الالتزام، لكن اقتصر على ما يدل بطريق المطابقة والتضمن؛ لأَنَّ الدلالة بطريق الالتزام لا تنحصر في حد إذ السقف يلزم الحائط، والحائط الأُسَّ والأُسُّ الأرضّ وذلك لا ينحصر" (الغزالي: ٤٦) ، ويبدو أنَّ كلام الغزالي هذا محصور ومقيد في الطريق العقلي لاستعمال الألفاظ كما ذكر، وليس تحذيراً عاماً ونهياً عن التلوين الأسلوبي في التركيبات البلاغية؛ لأنَّ الأمر لو كان عاماً لكان سبباً في قتل الابداع الفني في الفرادى الأسلوبية، فالتنوع اللغوي مظهر من مظاهر شجاعة العربية، كما يقول ابن جني، وهذا ما أشار إليه الجرجاني بقوله: "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن «زيد» مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلت: «خرج زيد»، وبالانطلاق عن «عمرو» فقلت: «عمرو منطلق»، وعلى هذا القياس– ضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض" (الجرجاني: ٢٦٢) ، فهو يثير فرقاً بين الدلالة الوضعية التي يدل على اللفظ وضعاً وبين الدلالة التركيبية النحوية التي يدل عليها اللفظ في التركيب السياقي، وهي الدلالة السياقية، ثم ينتقل إلى دلالة ثالثة نصية تخاطبية تبرز الجانب الفني الانزياحي في الاستعمال ولا يمكن أنْ تظهر بعيداً عن الخطاب بوصفه وحدة نسيجية كبرى، أشار لها بعنوان (معنى المعنى) حين تحدث عن مزية اللفظ المعبر عن هذا النوع من الدلالة بقوله: :وإذ قد عرفت ذلك، فإذا رأيتهم يجعلون الألفاظ زينة للمعاني وحلية عليها، أو يجعلون المعاني كالجواري، والألفاظ كالمعارض لها، وكالوشي المحبّر واللّباس الفاخر والكسوة الرّائقة، إلى أشباه ذلك مما يفخّمون به أمر اللفظ، ويجعلون المعنى ينبل به ويشرف، فاعلم أنه يصفون كلاماً قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه من طريق معنى المعنى" (الجرجاني: ٢٦٣).

كما يرادف الاستلزام التحاوري نظرية المفاهيم الأصولية التي هي من مباحث الألفاظ في التراث الأصولي، فجذور النظرية ترجع إلى الفهم الديني عند علماء المسلمين، فقد بحثوا هذه النظرية بعنوان المفاهيم الأصولية، مفرقين بين المفهوم الذهني الاضماري ذي المدلول الالتزامي للنص، وبين المنطوق التركيبي ذي المدلول المطابقي للنص، والذي يكون سبباً له مستدلين بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ

نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦)، فهم يرون أنَّ المنطوق عنصر صامت لا بدَّ من وجوده في عالم المفاهيم كونه القنطرة التي ينتقل بها المفسر للطرف الثاني، وهو المفهوم أو المدلول، فهو المحتوى القضوي أو البنية السطحية للعملية التأويلية، لكن المفهومَ ذو نسق حركي يمكن أنْ يعطي معنى مقصوداً في النص القرآني، لكنَّه لم يرد ذكره بشكل واضح وجلي، وإنَّما يصار إلى التأويل والإعمال العقلي للوقوف على حيثياته، ما دام النص يقع في طرق التشريع الديني، وما يشكِّله هذا الأمر من غاية مقدسة تجعل المتلقِّي جالساً بين يدي القرآن الكريم؛ ليحظى بهذه اللطائف التعبيرية، فالمنطوق هو التركيب السياقي للنص، وأما المفهوم فهو الطاقة التعبيرية التي يمطرها التركيب السياقي للمتأمل فيه، وهذا لا يعني ليّ عنق النص بل هو استنطاق مقاصد النصوص الاضمارية، أو تفجير للطاقة التي تكتنف النصوص الدينية لما لها من مساحة كبيرة في هذا الفيض، فالنصّ يطلب من المؤمنين الفحص والتبين والاختبار حين يكون ناقل الخبر لهم من الفاسقين وهو مدلول ظاهر جلي، أما المدلول الخفي فهو: (إن جاءكم عادل فلا تتبينوا، أو إن جاءكم غير فاسق بنبأ فلا تتبينوا).

وقد صاغ غرايس هذه النظرية على أساس المعنى المستلزم الذي ظهر في نظرية الأفعال الكلامية مساوقاً بين الطاقة التعبيرية أو الإيحائية التي تكتنف القولة في نسيجها السياقي وبين المتلقّي بوصفه محلاً للتفتيش عن المعنى الضمني غير الصريح، وذلك على وفق المعايير التداولية التي وضعها؛ ليستقيم التحاور بين الطرفين، والتي أطلق عليها مبدأ التعاون التخاطبي بين المتحاورين بوصفهم شركاء العملية التواصلية، والتي تلزم المتكلم أنْ يصوغ خطابه موافقاً للفهم التحاوري مع شريكه، وإلا سيكون قاصداً للتعمية في حديثه، وهذا خلاف مبدأ التأدّب الحواري، فإنْ لم يكن قاصداً اللبس، فعليه أنْ يسوق دليلاً على قصده العدول في الكلام، وأنَّه لجأ إلى انتهاك قواعد التحاور الأصولية، وإنْ لم يوفّر المعطيات المذكورة فسيكون الحديث سائراً باتجاه التعقيد المفضي إلى الاخفاق في التخاطب (ينظر: يونس: ١٠١).

وقد بنى غرايس مبدأ التعاون على: "أنْ تكون مساهمتك الحوارية بمقدار ما يطلب منك في مجال يتوسل إليه بهذه المساهمة، تحدوك غاية الحديث المتبادل أو اتجاهه، أنت ملتزم بأحدهما في لحظة معين" (أزاييط:٧٤)، ثم سار على هذا المبدأ التأدّبي في الحوار وراح يفرع عليه بما عرف عنه بـ(قواعد التحاور) أو (قوانين الحوار) وهي:

- الكم: والتي تعني أن يأتي الكلام موافقاً للمطلوب بلا إيجاز أو إسهاب.
- الكيف: وتعني الصدق في الكلام.
- الملاءمة: وتعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال.
- الجهة: وتعني الوضوح (ينظر: العياشي: ٩٩).

بغية ضبط استراتيجية الحوار وإخراجه من دائرة العتمة التأويلية إلى الوضوح المقالي، وعدَّ الخروج عن هذه القواعد يشكِّل استلزاماً تخاطبياً حين يضطر أحد المتخاطبين إلى اللجوء للمعاني الخفية التي يقتضيها المقام وظاهر العبارة والقرائن للوقوف على المقصود الضمني بالاستدلال عليه (ينظر: عبد الرحمن: ١٠٤)، وأمَّا السير عليها فإنه يجعل الكلام واضحاً بلا تأويل، فلقد عدل جرير بقوله في الفرزدق:

زعم الفرزدقُ أنْ سيقتلُ مربعاً أبشرْ بطولِ سلامةٍ يا مربعُ (جرير: ٩١٦/١)

عن ظاهر اللفظ إلى معانٍ إضمارية يتعاون فيها السياق والشاعر والمقام للوصول إلى بنية القصد العميقة، فعدوله كان من التصريح المقالي إلى التلميح المقامي الذي هو بداعي الهجاء للفرزدق ووصمه بالجبن، لكنه أخرج السياق عن مقتضى ظاهره للتلميح بجبن مهجوه بعيداً عن الظهور المقالي، ويمكن تطبيق الرؤية الغرايسية في البيت وكيف خرق الشاعر قاعدتي الكم والكيف أو عدل عنها تركيبياً، كما يأتي:

- العدول في قاعدة الكم: إذ دلَّ شطرا بيت كاملٍ على معنى واحد وهو جبن المهجو.
- العدول في قاعدة الكيف: قد يكون الشاعر ليس صادقاً في هذا الاتهام، ويكن الفرزدق شجاعاً.

ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة: ٦٧)، فقد تضمّن النص القرآني انزياحان حواريان وقع من نبي الله موسى عليه السلام:

١- إنَّ قوماً من بني اسرائيل قد طلبوا منه أنْ يسأل ربه ليبين قاتل رجل منهم، فأجابهم: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً، وفي هذا الرد عدولاً عن قاعدة الملاءمة أو المناسبة والتي تعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ولا مطابقة في المقام، إذ ما العلاقة بين كشف القاتل وبين ذبح البقرة؟، وقد دلَّ المقام على هذا الخروج التخاطبي أو الحواري.

٢- حين كان طلب ذبح البقرة في غير مقتضاه كما بدا لهم، (قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً)، فأجابهم بوصفه نبياً: (قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)، وعلى وفق مبدأ التعاون فقد عدل نبي الله عن سنن التخاطب الغرايسية والتي هي:

- الكم: فيكفي أن يقول: لستُ مستهزئاً.
- الملاءَمة: ما علاقة الاستهزاء بالجهل؟.

وقد فصل الرازي القول بالمسألة بقوله: "الاشتغال بالاستهزاء لا يكون إلا بسبب الجهل، ومنصب النبوة لا يحتمل الإقدام على الاستهزاء، فلم يستعذ موسى عليه السلام من نفس الشيء الذي نسبوه إليه، لكنه استعاذ من السبب الموجب له كما قد يقول الرجل عند مثل ذلك: أعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى، والحاصل أنه أطلق اسم السبب على المسبب مجازاً" (الرازي:١٢٦/٣).

إذاً فالأواصر التقاربية بين العدول وبين الاستلزام الحواري عصية على التفريق، فهما يجتمعان في أكثر من فضاءٍ تداوليّ والتي هي:

- يبحثان المعاني المضمرة خلف السياق.
- قصدية الإضمار.
- يدرسان الخطابات النصية لا الدلالة الوضعية الإفرادية.
- يدرسان النصوص الإبداعية الفنية لا النصوص العادية.
- كلاهما يتعكز على إبداع المنتج وقدرة المتلقي على استشراف المقاصد.

وأمَّا التفريق الأسلوبي بينهما فإنَّ العدول يخرج عن الأصل لإبراز الذائقة الفنية وجمالية الأسلوب التركيبي انطلاقاً من قصدية المبدع فهو يدرس علّة الانحراف وهذا المعنى لم يكن مطروحاً في النظرية الاستلزامية الغرايسية فـ"بينما يمكّن موقف كرايس من تفسير الاستلزامات الخطابية. ورغم ذلك فإن هذا الموقف لا يفسر سبب لجوء القائل إلى طريقة في التواصل غير صريحة تماماً" (روبول و موشلر: ٦١-٦٢)

الخاتمة:

- العدول ميدان واسع يجافي الحصر والتحديد في مجال دون سواه.
- على الرغم من وجهة الظاهرة بوصفها وظائفية أسلوبية لكنَّ تنوعها الدلالي يجعلها صالحة للولوج في المجال النحوي والبلاغي والصرفي وغيرها من العلوم.
- الدرس العقلي لا ينسجم مع التوظيف النصّي لهذه الظاهرة في البيئة العقلية ذات الصرامة المنطقية والفلسفية، والتي لا تسمح ظروفها بالتنوع الدلالي، لما تسبّبه من تنوع مقاصدي تضيع معه الحقائق.
- ينسجم العدول مع الفعل الكلامي غير المباشر كالخروج الدلالي من خبرية الجملة إلى انجازيتها الأدائية ذات سياق إنشائي طلبي.
- وهكذا ينسجم العدول مع نظرية الاستلزام التخاطبي لما يشكّله من خروج دلالي مقصود عن القول الصريح إلى الدلالة الإضمارية.

المصادر والمراجع

١- الكتب المطبوعة:

- **القرآن الكريم**
- إبراهيم، د. نانسي إبراهيم، بناء المفارقة في البلاغة العربي، ط١، منشورات بتانة، القاهرة، ٢٠١٩.
- ابن الاثير، ضياء الدين بن الأثير(٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه وحقّقه وعلّق عليه: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، (د.ط)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة،(د.ت).
- الجرجاني، الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز ،قرأه وعلق عليه: محمود أحمد شاكر ،(د.ط)، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٤م.
- جرير، ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحـ: د. نعمان محمد أمين طه، ط٣، دار المعارف، القاهرة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص، تحـ: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.
- الرازي، محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر(ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤١٠هـ-١٩٨١م.
- راضي، د. عبد الحكيم راضي، نظرية اللغة في النقد العربي، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- روبول وموشلر، آن روبول، جاك موشلار ، التداولية اليوم عالم جديد في التواصل، تر: الدكتور سيف الدين دغفوس والدكتور محمد الشيباني، مراجعة الدكتور لطيف زيتوني،ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣م.
- ريفاتير، ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، تر: د. حميد لحمداني، ط١، دار النجاح الجديدة، البيضاء، ١٩٩٣م.
- الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت٥٣٨هـ)، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد عوض، شارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- السكاكيّ، يوسف بن محمد بن علي السكّاكي (ت ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- شبلنر، برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية دراسة الأسلوب البلاغة، علم اللغة النصي، تر: محمود جاد الرب، ط١، الدار الفنية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩١م.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- طبل، د. حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ،(د.ت)، المدينة المنورة، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
- عبد الرحمن، د. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،ط٢، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٠م.
- عبد المطلب، د. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٤م.
- العلوي، يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي اليمنيّ، الطراز المتضمن لعلوم البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ،(د.ط)، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣٣٣هـ.
- العمريّ، د. محمد العمريّ ، البلاغة العربية أصولها وامتدادها، (د.ط)، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩م.
- عيّاد، شكري محمد عياد، اللغة والابداع مبادئ علم الأسلوب العربي، ط١، مطبوعات انترناشيونال بريس، القاهرة، ١٩٨٨م.
- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ط١،منشورات الاختلاف، الرباط، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- عيد، د. رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ط٢، منشأة المعارف، الاسكندرية،(د.ت).
- الغزاليّ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي(ت٥٠٥هـ)، المستصفى من علم الأصول، قدّم له وحققه وضبطه وترجمه إلى اللغة الإنكليزية: الدكتور أحمد زكي حمّاد، (د.ط) دار الإيمان للنشر والتوزيع، الرياض،(د.ت).
- فضل، د. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

- الكردي، د. عز الدين محمد الكردي ،وجوه الاستبدال في القرآن الكريم دراسة لغوية وصفية تحليلية ، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.
- كوهين، جون كوهين، بناء لغة الشعر، تر: أحمد درويش، (د.ط) الهيأة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٠م.
- المتوكل، د. أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ، ط١، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، ١٩٩٣م.
- المسدي، د. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب ، ط٥، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت– لبنان، ٢٠٠٦م.
- ميلاد، الدكتور خالد ميلاد ، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية ، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.
- نحلة، د. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٢هـ–٢٠١١م.
- الهتاريّ، الدكتور عبد الله علي الهتاريّ ، الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقيّ في القرآن الكريم، (د.ط)، دار الكتاب الثقافي، أربد– الأردن، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.
- هنداوي، د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، (د.ط)، المكتبة العصري، بيروت– لبنان، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨.
- ولسون، دان سيبربر ودريدري ولسون، نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والادراك ، تر: هشام ابراهيم عبد الله الخليفة، مراجعة فراس عواد معروف، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ٢٠١٦م.
- يول، جورج يول، التداولية، تر: الدكتور قصي العتابي،ط١، الدر العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ١٤٣١هـ–٢٠١٠م.
- يونس، الدكتور محمد محمد يونس علي ، علم التخاطب الاسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، ط١،دار المدار الاسلامي، طرابلس– ليبيا، ٢٠٠٦م.
- يونس، الدكتور محمد محمد يونس علي ،مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ، ط١،دار اكتاب الجديد المتحدة، طرابلس–ليبيا، ٢٠٠٤م.

٢– البحوث المنشورة:

- أزابيط، د. بنعيسى أزابيط، نظرية كرايس والبلاغة العربية، مجلة مكناسة، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية (مكناس)، جامعة المولى اسماعيل، العدد ١٣، ١٩٩٩م.
- بيعيطش، يحيى بيعيطش، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو(عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي لدى فلاسفة اللغة ونظرية النحو الوظيفي)، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيل علوي، ط٢، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد–الأردن، ٢٠١٤م.
- فاخوري، عادل فاخوري، الاقتضاء في التداول اللساني، مجلة عالم الفكر، العدد ٣، المجلد العشرون، ١٩٨٩.
- فضل، د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد١٦٤، الكويت، ١٩٩٢.
- عبد اللطيف، د. محمد حماسة عبد اللطيف، منهج في التحليل النصي للقصيدة تنظير وتطبيق، مجلة فصول، العدد ٢، المجلد١٥،ج١، ١٩٩٦.
- العبد، محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيل علوي، ط٢، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد–الأردن، ٢٠١٤م.
- ليلى، أ. كادة ليلى، ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، مجلة علوم اللغة وآدابها، العدد الأوّل، ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.
- المتوكل،أحمد المتوكل، الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيل علوي، ط٢، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد–الأردن، ٢٠١٤م.
- ويس، أحمد محمد ويس، الانزياح وتعدد المصطلح ، مجلة عالم الفكر، العدد ٣، مجلد٢٥، ١٩٩٧.